وفقدان الهدف ، وأصبح العصر في رأي " كولن ولسن " عصر اللامنتمي أو " اللامعنى " ، ففقدان المعنى ــ الوجهة ــ والهدف يجثم على أدبنا وفننا وفلسفتنا هذا الشعور العام بأن التأكيدات التي يمنعها الدين قد ضاعت ولا يمكننا استبدالها ، فتحليل العلم للمشكلات الحضارية العلمية يزيد في اتساع هوة الفراغ المؤلم ، ومن خلال هذا تبدو الثقافة الغربية تعاني الانهيار والانتكاس ، إذ ليس الأمر إلا مسألة تفكير في معرفة المدة التي تستمر فيها قبل أن يلتهمها الإفلاس الماحق . (١٠٢)

وهذا أيضاً عالم غربي آخر يُدعى " أرنولد توينبي " يشفق على حضارته من خطرين داهمين : أحدهما نفسي ، وهو التمييز العنصري ، والثاني مادي ، وهو شرب الخمر ، ويرى أنه إذا سمح للفكر الإسلامي أن يؤدي دوره فسيبرهن على قيم اجتماعية وأخلاقية سامية ، فعدم وجود التمييز العنصري هو أحد أبرز الإنجازات الأخلاقية للإسلام . "

والعالم المعاصر في وضعه الراهن بحاجة ماسة لنشر هذه الفضيلة الإسلامية . (١٠٣)

وهاهو " برتراند رسل " يعلل إقدام عدد كبير من السويديين على الانتحار بأنه نتيجة لفقدان العقيدة الدينية ، فهم ليسوا شعباً متديناً .(١٠٤)

ويقول أيضاً : " ففي اعتقادي أن كل متاعب العالم ــ فضلاً عن قوة التكنولوجيا الحديثة إنما تكمن في علم النفس الفردي أو بالأحرى في آلام الناس الإنسان الفردي ، فيا لها من آلام حضارة "

---

(١٠٢) فلسفة المستقبل أو ما بعد اللامنتمي ــ كولن ولسون ص١٥-١٧٤، ٢٠٢ بتصرف يسير ــ ترجمة يوسف سرور وغيره ــ دار الآداب ــ بيروت ١٩٨١م ، وانظر : الصحوة الإسلامية عودة إلى الذات ــ د٠مصطفى حلمي ص١٣٥-١٣٦ .

(١٠٣) الإسلام والغرب والمستقبل ــ د٠نبيل صبحي ص٦٢ بتصرف يسير ــ ط دار العربية بيروت ١٩٦٩م .

(١٠٤) محاورات برتراند رسل ص٣٥ ــ ترجمة وتقديم جلال العشري ــ ط الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٩م .

ثم يمضي فيقترح العلاج المناسب لهذه الحالة بقوله : " فلو قدر لإنسان ــ ولو قدر له بصورة أقوى ــ أن يكون سعيدا في عالم متماسك ومتكامل لكان لزاما عليه أن يعمل على إسعاد جيرانه من البشر مهما كان يكن لهم من شعور بالكراهية . (١٠٥)

ويقول آخر : " إن أسس اليأس أرسيت في العصر الحديث على أيدي أناس كانوا موقنين بأنهم يخدمون الإنسانية ، ووسط هتافات النصر حيث سلاسل القيود التي تشدنا إلى الأرض بأوثق مما نريد . (١٠٦)

ويقرر" **أرنولد توينبي** " فيقول : " إنه من سوء حظ الجنس البشري كله وضمنه الغرب ذاته أن يتجه الجزء غير الغربي من العالم إلى قبول المدنية الغربية بكل عناصرها دون تمييز ودون تفرقة بين ما هو نافع وما هو ضار منها ؛ لأن هذه المدنية ضارة .(١٠٧)

ويقول الدكتور **ألكسيس كاريل** في كتابه " **الإنسان ذلك المجهول** " : " إن الجماعات والأمم التي بلغت فيها الحضارة الصناعية أعظم نمو وتقدم هي على وجه الدقة الجماعات والأمم الآخذة في الضعف والتي ستكون عودتها إلى البربرية والهمجية أسرع من عود غيرها إليها . (١٠٨)

ويقول الفيلسوف الألماني " **شبنجلر** " في كتابه " **انهيار الغرب** " : " إن الحضارة الأوربية طغت فيها المادية على الروحية وهذا بداية النهاية لها رغم ما انخدع له البصر من التقدم العمراني والمادي ... وما مرحلة

---

(١٠٥) المرجع السابق ص١٩٩-٢٠٠ بتصرف يسير .

(١٠٦) الإنسان الحديث دراسة في مزاجه وقضاياه ــ وودكرتش ص٢١٩ ــ ترجمة بكر عباس ط دار الكتاب العربي ١٩٦٥م .

(١٠٧) محاضرات توينبي ص٣٧ ألقاها أثناء زيارته لمصر في أبريل ١٩٦٤م ترجمة فؤاد زكريا ــ الدار القومية للطباعة والنشر بالقاهرة ١٩٦٦م .

(١٠٨) المرجع المذكور ص٤٤ ترجمة شفيق أسعد فريد ــ نشر مكتبة المعارف بيروت .

الحضارة الحالية إلا غمرة المدنية المضللة ببهرجها الذي يستر فقرها الروحي ، فهي سائرة بخطى واسعة إلى الفناء المحتوم الذي أصاب الحضارات البشرية كلها . (١٠٩)

ويقول أيضاً : " إن الحضارة العصرية ــ الحضارات البشرية ــ تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلائمنا ، لقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية ، إذ أنها تولدت من خيالات الاكتشافات العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم ، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا " (١١٠)

يجب أن يكون الإنسان مقياساً لكل شيء ولكن في الواقع هو عكس ذلك فهو غريب عن العالم ، إنه لم يستطع أن ينظم دنياه بنفسه ؛ لأنه لا يملك معرفة علمية بطبيعته ، ومن ثم فإن التقدم الهائل الذي أحرزته علوم الجماد على علوم الحياة هو إحدى الكوارث التي عانت منها الإنسانية ... إننا قوم تعساء لأننا ننحط عقلياً وخلقياً . (١١١)

وأعلن جارودي أن الحضارة الغربية تموت وتنتحر لأنها خالفت الفطرة الإلهية فيقول : " عن حضارتنا الغربية حالياً في سبيل الموت لا لأنها تفتقد الأساليب لكن لأنها تفتقد الغايات . (١١٢)

ويقول أيضاً : " إن هدف هذا الكتاب هو أن يضع تحت تصرف كل شخص مجموعة من المعلومات العلمية التي تتعلق بالكائنات الحية في عصرنا ، فقد بدأنا ندرك مدى ما في حضارتنا من ضعف ، وعلينا

(١٠٩) نقلاً من قيم الحياة ــ محمد شديد ص١٩٣ .
(١١٠) المرجع المذكور ص٣٨ .
(١١١) المرجع المذكور ص٤٤ .
(١١٢) نقلاً من الإسلام تاريخ وحضارة ــ أنور الجندي ص١١-١٢ بتصرف .

إدراك أنه ليس فقط ضرورة إحداث تغييرات عقلية وسياسية واجتماعية بل أيضاً ضرورة قلب الحضارة الصناعية وظهور فكرة أخ رى للتقدم البشري . "(١١٣)

ومن خلال ما سلف من شهادات غربية من مفكري الغرب على واقع الحضارة الغربية وانهيارها في الميادين الواقعية نقول : إن المدنية الغربية بكل ما أبدعت من نظم وما أنتجت من مذاهب وفلسفات ، وبكل ما وضعت من تشريعات وقوانين ، لم تستطع أن تحقق العدل والحرية والمساواة في المجتمعات ، ولم تتمكن من إشاعة الأمن والسكينة في النفوس ، وعجزت عجزاً كاملاً من إسعاد الإنسان على السواء ، ولئن كانت وفرت المطالب المادية ، فقد أهملت مطالب الروح إلى حد الإنكار وفقدت أهم الدعائم الحضارية (الإيمان بالله ﷻ) فأصبحت الحياة في ظلها صراعاً مسعوراً لا يهدأ ، وشهوة عارمة لا ترتوي ، وعالماً مجنوناً تسوده شريعة الغاب والناب ، لا تسمو به عقيدة ، ولا يحكمه قانون أخلاقي ، وإذا فقدت الحضارة أي دعامة من دعائمها ، أو عجزت عن تحقيق الغاية من جهودها ، لا يمكن أن تُعتبر حضارة مهما وفرت من أسباب العيش ومنح الحياة ، ومهما حققت من انتصارات مادية في مجالات الحياة وواقعها ، فالمجتمع الذي يتقدم مادياً وينحط أخلاقياً وروحياً والذي يجعل التقدم المادي هو غاية حياته ، والذي يصبح الإنسان فيه كأنه ترس في آلة الإنتاج ، ليس مجتمعاً حضارياً ، والمجتمع الذي يفقد فيه الإنسان كرامته وحريته وتُهدر فيه إنسانيته ، أو يصبح عبداً

(١١٣) المرجع المذكور ص١١-١٢ من مقدمة الكتاب .

لسائر الطواغيت ليس مجتمعاً حضارياً ، والمجتمع الذي يسوده القلق والتعاسة وتشيع فيه الفواحش والمنكرات ويغلب على أفراده الإحساس بالتمزق والضياع ، ليس مجتمعاً حضارياً ، وأي أمة من الأمم أو شعب من الشعوب فقد ركائز ــ أو أي ركيزة ــ من مقومات الحضارة فهي أمم واهية وشعوب ساقطة مهما ادعت ارتقائها المادي . (١١٤)

وقد أدلى وحيد الدين خان بشهادة عصرية على سائر الحضارات الإنسانية التي طغت فيها النظرة المادية دون أدنى عناية بالناحية الروحية مما أفقد البشرية توازنها في واقع الحياة وسائر ميادينها ونظمها ، فيقول: " لقد أقامت العلوم والتكنولوجيا أبنية شامخة ولكنها نزعت السعادة من قلوب ساكنيها ، إنها أقامت مصانع تتحرك هائلة ولكنها حرمت عمالها الراحة التي يطمحون إليها ، وهذه هي نتيجة التاريخ العلمي والتكنولوجي، فكيف بنا نطمح ونتوقع عالماً يسوده السلام والسعادة والسكينة من صنع التكنولوجيا . ؟!! " (١١٥)

تقول الكاتبة الألمانية الدكتورة " **سيجريد هونكه** ": " إن هذه الطفرة العلمية الجبارة التي نهض بها أبناء الصحراء ، من العمد ، من أعجب النهضات العلمية الحقيقية في تاريخ العقل البشري ، وليس من المعقول في نظر المفكر والباحث والدارس أن يظفر الفكر الذي قيدته ظروف الحياة القبلية الآسنة اليبوس إلى مثل هذه المرتبة العالية دون أن تكون هناك الأسباب القوية التي دفعت بها إلى الحياة المتحركة دفعا. " (١١٦)

---

(١١٤) قيم الحياة ــ محمد شديد ص١٩٢-١٩٣ بتصرف .
(١١٥) الإسلام يتحدى ــ وحيد الدين خان ص٨٦ ــ ط ٦ المختار الإسلامي ١٩٧٦م .
(١١٦) نقلاً من مقال د٠أحمد السايح ص٤٦ ــ حولية أصول الدين بالمنوفية ١٩٨١م .

الثاني عشر: حاجة الإنسانية للحضارة الإسلامية .

لقد بدأ انحراف الحضارة المادية المزعومة لأنها لا تملك المعيار الإلهي للتقويم ، وعيب الحضارة الوضعية ناشئ من ذاتها ، ودعائمها التي قامت عليها واهية ؛ لأنها نتاج العقل الإغريقي والروماني ، أما الإغريق فقد أمدوها بالأفكار التجريدية الماهية ، وأما الرومان فقد أمدتها بالتنظيم والبحث عن الفائدة العملية والبحث عن المتاح ، فقصمت كيان الإنسان مقابلها جانبين ممتزجين وجعلت كلا منها على حدة ، ثم كبتت أحد الجوانب بشتى ألوان الكبت ــ الجانب الروحي ــ ونمت الآخر بكل وسائل التنمية ــ الجانب المادي ــ وتلك هي الخطيئة الأولى في هذه الحضارة ، ثم تلتها سائر الخطايا والوهم الباطل الذي خيل للغرب بأن التقدم العلمي والتنظيم الحضاري هما حصيلة الفصل بين الدين والحياة العلمية ، وهم أنشأته ملابسات خاصة بالبيئة المادية ، وليس حقيقة بشرية، وكان أخطر ما جنته البشرية من هذه الحضارة ، وكونت مخا مشوها في مكان الإنسان ، وهذا المخ المشوه الذي لا يؤمن إلا بما تدركه الحواس ويدركه الذهن جعلته يصاب أول ما يصاب بالعمى النوعي ، فلا يبصر أمامه إلا جانبا من شاشة الحياة ،وبقيت سائر المناحي الحياتية على الشاشة مظلمة ، أو لا وجود لها على الإطلاق مما يؤثر سلبا على نظرة الإنسان الغربي ، وجعلها نظرة قاصرة ناقصة في نظرته لواقع الكون والحياة والأحياء ، وحين تعمى روح الحضارة المادية عن هذه النظرة الواقعية تصبح صورتها مشوهة وخطورتها في اضطراب ويختل توازنها وينهار بنيانها وتسقط معالمها وتغرق دعائمها في كل مناحي الحياة ، ولو كانت للحضارة الغربية مقاييس إنسانية صالحة ، ما انحرف أهلها عنها ،

ولكان هناك أمل في عودة الناس إلى المقاييس الصحيحة ورجوعهم عن الفساد ، لقد نادت الحضارة المادية بصيحات براقة ــ كحقوق الإنسان ، والحرية والإخاء والمساواة ، والكرامة الإنسانية ، والرفعة والعظمة الإنسانية .. إلخ ــ لكنها صيحات خادعة لأن انفصالها عن المعيار الإلهي جعل هذه الصيحات نفخة في الهواء ، وانقلبت إلى الصورة البشعة التي لامسنا جانباً منها في شهادة القرن العشرين ، والتي سجلنا بعضاً منها ، كشهادة " **ألكسيس كاريل** " ، و " **ول ديورانت** " وهي تكشف النقاب عن فساد الحضارة الغربية وانحطاطها ، بل وسقوطها ، وهي تقول :-

أولاً : إن هذا التحلل الخلقي ليس تطوراً بل هو انحراف بالبشرية .

وثانياً : إنه انحراف ضار بالكيان البشري مؤد إلى الدمار .

وثالثاً : أن هناك فطرة للإنسان تتأذى من كل شيء لا يلائم طبيعتها ، وتمرض من استمرار تعاطيه .

ورابعاً : أن هذه الفطرة ثابتة ، فما كان يؤذيها ويدمرها قبل ألفي عام ما زال يؤذيها ويدمرها بعد مرور الأجيال .

وخامساً : أن الجانب الخلقي ــ على الأقل ــ من حياة الإنسانية ذو مقياس ثابت يُقاس به في جميع الأجيال ، فما كان في علاقات الناس في الماضي ما زال هو الصواب ، وما كان خطأ وانحرافاً ما يزال هو الخطأ والانحراف ، بعد كل تقدم علمي وتطور تكنولوجي ، وأي نظام لحياة البشرية ينبغي أن يجعل في حسابه ذلك المقياس للأخلاق مهما كانت مرونته في الجوانب المادية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية وغيرها، التي ينبغي أن تنمو ويُسمح لها بالنمو في ظل أي نظام صالح للحياة ،

ولن يستقيم صلاح الحياة والأحياء إلا في ظل منهج دعوة الحق "الإسلام"، فهو وحده القادر على إحياء البشرية من موتها ، وصلاح مناحي الحياة بعد فسادها .[١١٧]

ثم إنك لو نظرت إلى هذه الشهادات ــ وغيرها كثير ــ لتبين لك أهم البواعث التي أدت إلى انهيار الحضارة الغربية وسقوطها ، وكل واحد من منكري الحضارة المادية يرصد بوادر هذا الانهيار من وجهة نظره ، بل ومن زاوية معينة ، وهاكم نماذج من هذه الوجهات ، هي وإن اختلفت في العلة إلا أنها جميعها تؤكد انهيار الحضارة الغربية وفشلها في قيادة عجلة الأحياء في مناحي الحياة ، وأنهم اتفقوا أيضاً على اختيار بديل لإحلاله محل هذه الحضارة الفاشلة ، فالفيلسوف البريطاني " **برتراند رسل** " يقول : " لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض .. إلخ . ثم يعلل هذا القول وهذه الشهادة بأن الرجل الغربي قد فقد المؤهلات التي تؤهله لهذه السيادة ولم يعد لديه ما يعطيه .

والعالم الفرنسي " **ألكسيس كاريل** " نجده وهو يتحدث عن مظاهر انحطاط الحضارة الغربية كما سلف أن سجلنا شهادته ، يعلل بأن تلك الحضارة قد أنشئت دون أية معرفة بكنه الإنسان الذي أنشئت من أجله .

و " **جون فوستر دلاس** " ــ وزير خارجية أمريكا الأسبق ــ يتحدث في كتابه " **حرب أم سلام** " عن إفلاس الحضارة الغربية فيرده إلى نقص الإيمان والحيرة القائمة في عقول الناس والتآكل الموجود في أرواحهم ، وإلى جانب هذه الأسباب يمكننا أن نؤكد أن من أهم بواعث انحطاط الحضارة المادية وفسادها وسقوطها ناجم عن الاستكبار على عبادة الله

---

(١١٧) التطور والثبات في حياة البشرية ــ محمد قطب ص١٧٤، ٢٨١، ٢٩٠ بتصرف .

ﷻ واتخاذ طواغيت أخرى أنداداً لله ــ جل شأنه ــ وهو داء البشرية ــ إلا من هدى الله ــ كلها منذ بدء الانحراف البشري ، وانتقل الإنسان المادي ، بل وانتقلت الإنسانية ــ في ظل المادية الجارف ــ من دين وضعي بلا حضارة إلى حضارة بلا دين إلهي ن وهو جوهر الخلل الذي وقعت فيه الحضارة المادية ، هو اتخاذ الإنسان نفسه نداً لله ، واتخاذه هواه إلهاً من دون الله ، ومن ثم يمكننا إجمال مظاهر الخلل في الحضارة المادية في أربع ، وهي ليست محصورة فيها بل أي خلل قد يمكن أن يدخل ضمن هذه الأربع ، وهي كما قال محمد قطب ما يلي :

الأولى : عجز الفكر الحضاري المادي عن التوفيق بين فاعلية قدر الله وفاعلية الإنسان ، أما حضارة دعوة الحق ــ الإسلام ــ فهي تؤمن بل ويؤمن أتباعها إيماناً صادقاً بفاعلية قدر الله سواء في مجال الخلق أو الرزق أو الإحياء والإماتة ، والبعث والنشور ، ولكنه في الوقت نفسه يؤمنون بفاعلية الإنسان ، مصداقاً لفاعلية كلمة الوحي الإلهي ذاتها ، ولا تناقض بين الأمرين ، فالله ﷻ هو الخالق والقادر على كل شيء ، ومن خلق الله وتقديره أنه جعل للإنسان قدراً من الفاعلية يجتاز به بين الهدى والضلال ويكون محاسباً على اختياره يوم الحساب :

﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا . فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا . قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا . وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴾ الشمس ٧-١٠ .

﴿ وَقُلِ الحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ الكهف٢٩.

﴿ قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾ الأنعام ١٠٤ .

ومن هذا التوازن الاعتقادي تحقق تواؤم واقعي ــ كما جاء في كلمة الوحي ــ في واقع الكون بأسره ، فخرجت حضارة دعوة الحق تعمل بأقصى طاقتها وفاعليتها في تعمير الأرض فسادت وهيمنت على سائر الحضارات الإنسانية ، وإذا كان الواقع المعاصر يشهد بركود الأمة الإسلامية فإن ذلك ناجم عن الغفلة والتقليد الأعمى وهجر كلمة الوحي الإلهي ، فالضعف ناجم من المسلمين أنفسهم لا من دعوة الحق "الإسلام"، ويوم أن يعود المسلمون إلى كلمة الوحي الإلهي فمستقبل البشرية لدين الحق " الإسلام " كما نطق صوت الفطرة في الشهادات التي أدلجها المنصفون من مفكري الغرب . (١١٨)

والثانية : العجز عن التوفيق بين الدنيا والآخرة ، وبين المادي والروحي في كيان الإنسان .

والثالثة : عجز الحضارة المادية عن التوفيق بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، ويبدو ذلك جلياً من خلال البيئة المادية التي اتخذت من السبب المباشر بديلا من مسبب الأسباب ، ومن الطبيعة ندا لله ﷻ ، ومن المنهج التجريبي في البحث العلمي الذي تعلمته أوربا من المسلمين ومن اكتشاف السنن الكونية ، نشأت في أوربا حركة علمية ضخمة ولكنها كافرة جاهرة لعجز أوربا عن التوفيق بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وأصبح الإيمان بالغيب ــ في زعمهم ــ معوقا عن البحث العلمي ، بل مفسد لروح البحث ، وأصبح العلم المادي هو المخلص من جهالة الإيمان بالغيب ، وبذلك انتقلت أوربا من دين وضعي بلا حضارة إلى حضارة مادية

(١١٨) انظر لمزيد من الاستفادة وعلاج هذا الموضوع : دراسات في النفس الإنسانية ــ محمد قطب ــ دار الشروق .

جامحة بلا دين إلهي بخلاف الحضارة الإلهية في دعوة الحق " الإسلام " فإنها وازنت وواءمت بين الإيمان بالشهادة وبين الإيمان بعالم الغيب ، ولم يمنع المسلمون إيمانهم بعالم الغيب من اتخاذ الأسباب ، بل أمروا بذلك أمرا ، ولم تفتهم الأسباب الظاهرة والتفاعل المباشر معها عن الإيمان بمسبب الأسباب ؛ لذلك أنشأوا حضارتهم المعمورة على دعامة الإيمان بالشهادة وبعالم الغيب ، وضرورة التوازن بين الدنيا والآخرة وبين الاهتمام بمطالب الجسد والعناية بمطالب الروح دون تشطير أو تجزئة بينهما .

الرابعة : عجز الحضارة المادية عن إيجاد التوازن بين الثابت والمتغير ، وذلك لأنها آمنت في الفترة الكنسية بالثبات في كل شيء ، الله ، الكون ، الحياة ، والحياة والإنسان .

فالله أزلي لا يتغير ، والكون منذ خلقه الله على حاله الذي خلق عليه ثابت لا يتغير ، والكائنات الحية منذ خلقت لم يطرأ عليها تغيير ، وأوضاع الناس في الأرض حكاما ومحكومين ثابتة لا تتغير ، فالغني غني والفقير فقير ؛ لأن هذه المخلوقات من قدر الله الثابت ، فلما جاءت النظرية الدارونية كانت مفاجأة حادة لفكرة الثبات التي آمن الماديون بها قرونا بعد قورن ، وأنكروها في مبدأ الأمر وقاوموها مقاومة شديدة ، خاصة وأنها سلبتهم كرامتهم الإنسانية التي يعتزون بها ، ومسختهم إلى قردة متطورة، ولكن حيل الدعاية اليهودية التي قامت لترويج هذه النظرية والدفع المستمر لها لم يثبت النظرية في أذهان الماديين فحسب بل جعلتهم يؤمنون بها كأنها حقائق علمية نهائية لا مجرد فرض أو نظرية علمية ، وانقلب الفكر المادي في الحضارة الوضعية رأسا على عقب ، وبعد أن

كان الثبات هو الصورة الدائمة لمظاهر الكون بما فيه ومن فيه أصبح التطور والتغير هو الصورة الدائمة لواقع الكون بما فيه ومن فيه ، ولم يعد هناك ثوابت فيه ، لا في الكون ولا في الحياة ولا في الإنسان ولا في الدين ولا في الأخلاق ولا في ذات الله ﷻ ، فالكون تطور من سديم إلى نجوم ، والحياة تطورت من كائن وحيد الخلية إلى نبات وحيوان وإنسان، والإنسان تطور من كائن شبيه بالقردة يمشي على أربع إلى قرد إنساني مستقيم القامة إلى إنسان متوحش وإلى إنسان مستأنس ، والدين تطور من عبادة الآب إلى عبادة الطوطم ، إلى عبادة قوى الطبيعة ، إلى عبادة الأفلاك والأصنام ، إلى عبادة الله ... من كائن شبيه بالقردة يمشي على أربع إلى قرد إنساني مستقيم القامة إلى إنسان متوحش وإلى إنسان مستأنس ، والدين تطور من عبادة الآب إلى عبادة الطوطم ، إلى عبادة قوى الطبيعة ، إلى عبادة الأفلاك والأصنام ، إلى عبادة الله ... إلخ الإلحاد والتحول بالكلية عن الدين ، والأخلاق تطورت من أخلاق عنيفة خشنة عند البدائيين إلى أخلاق حضارية حول وديان الأنهار مع تحول الماديين للزراعة والصناعة .. إلى تهاون شديد في قضية العفة وزوال سيطرة الرجل ، وهكذا لا شيء ثابت على الإطلاق ، فلم يستطع الإنسان المادي أن يهتدي إلى التوازن الإلهي الدقيق الذي هدى الإسلام إليه المسلمين في هذه القضية ، وهي أن في النفس البشرية وفي الحياة البشرية وفي الكون أمورا ثابتة لا تتغير ولا يريد الله ﷻ لها التغير ؛ لأنها متعلقة بحقائق أزلية ، كوجود الله خالق الكون ، أو بأصول ثابتة في الفطرة ، وكل تغيير فيها يؤدي إلى الفساد ، وهناك أمور أخرى متغيرة ؛ لأنها تتعلق بمدى ما يحققه الإنسان بجهده العقلي والبدني من تسخير

لطاقات السماوات والأرض المسخرة له أصلا بقدر من الله ﷻ ، ولكن تحقيق التسخير يحتاج إلى علم واستثمار له في تصنيع خامات الطبيعة وتحسينها وتجميلها ، وهذه أمور أذن الله ﷻ فيها بالتغيير لكي لا تجمد الحياة وتأسن ، ولكن الأصول الثابتة هي التي تحكم الصورة المتغيرة ، وليست المتغيرات هي التي تحكم الثوابت ، وتلك هي حقيقة الاجتهاد في الشرع الإلهي لاستنباط الأحكام متجددة من الأصول الواردة في الشريعة لمواجهة ما يجد في حياة الناس من أمور ، وبهذا تنطلق الحياة في تجدد دائم ونمو مستمر ، دون أن تفقد ارتباطها بالأصول الثابتة في حقائق الأزل وفطرة الإنسان ، وقد أكد العلم الحديث حقيقة الوجهة الإسلامية في دعوة الحق ، وهي : أن الكون المادي ذاته يتطور بالصورة نفسها ، أي أنه صور متغيرة محكومة بقوانين ثابتة . (١١٩)

تلك أهم الاختلالات في الحضارة المادية ، وهي كما ترى اختلالات في العقيدة ، ومقتضيات " لا إله إلا الله " نشأ عنها فساد في أنظمة الحياة البشرية على الرغم من التفوق العلمي ، والتقدم التكنولوجي والحربي والسياسي والاقتصادي الذي أحرزه الغرب أثناء كفره بحسب سنة من سنن الله ﷻ ﴿ **فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذا هم مبلسون . فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين** ﴾ الأنعام ٤٤-٤٥ .

﴿ **وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير** ﴾ الحج ٤٨

(١١٩) أنظر لمزيد من الاستفادة : رؤية إسلامية لأحوال العالم الإسلامي المعاصر ــ محمد قطب ص٢٤٣-٢٤٥ بتصرف .

إذن فلابد من منهج بديل عن الحضارات البشرية على اختلاف ألوانها ومسمياتها ، فإن جاهلية هذه الحضارات المزعومة قد بدت في شتى مناحي الحياة ، وأفسدت روح الأحياء ، ولن تستقيم حياة البشرية إلا وفق منهج دعوة الحق " الإسلام " فهو وحده القادر على إنقاذ البشرية مما يحدق بها من أخطار ماحقة تتلف إليها مقودة بسلاسل الحضارة المادية البراقة ، وهو وحده القادر على منحها المنهج الملائم لفطرتها ولاحتياجاتها الحقيقية ، وهو وحده الذي ينسق بين خطئها في الإبداع المادي وخطئها في الاستشراف الروحي ، وهو وحده الذي يملك أن يقيم لها نظاما واقعيا للحياة يتم فيه هذا التناسق الذي لم ولن تعرفه البشرية قط إلا في ظل دعوة الحق وحدها على مدار التاريخ الإنساني كله .

إن الحياة البشرية المهددة في حاجة إلى هذه الوثبة الكاملة ، في حاجة ضرورية إلى أن ترجع إلى حضارة الفطرة الإلهية التي فطر الله ﷻ الكون بأسره عليها ، وهي لا يمكن أن ترجع إلى هذه الفطرة بمبادئ ونظريات مادية أو وسائل تنبع من ذلك التصور الحضاري الوضعي الذي يكمن فيه الخطر ، والذي قام ابتداء على أصول بل معاول معادية وهدامة لينابيع الفطرة ، ولا غنى للبشرية عن منهج دعوة الحق وحضارته بعد فشل وعجز الأنظمة الحضارية المادية في قيادة سفينة الأحياء ومسيرتها في محيط الكون ، ذلك أن الأمر في المنهج الإلهي قائم على دعائم ربانية، وركائز إلهية لا خلل فيها ولا اعوجاج ، وأنه ليس بديلا من العلم والحضارة ولا عدوا لهما ، إنما هو إطار للعلم والحضارة ومحور لهما في ظل دعوة الحق حضارة كاملة بكل مقوماتها الإبداعية ، وخصائصها الإلهية ، ولا خطر من الإسلام على الحضارة ؛ لأنه دين الحضارة ، وحضارته هي الدين الكفيل بسعادة البشرية ، ورسم التصميم

الدقيق لكل أنظمة الحياة لواقع الأحياء فيها ، ولن يحارب الإسلام التقدم العلمي ، والرقي التكنولوجي ، وليس عدوا للحضارة والأحياء ، فأما الإيجابيات الحضارية للمدنية المادية فسيسبقها الإسلام ولكنه سيصحح قاعدتها كما استبقى الإسلام ما كان في الجاهلية من فضائل ، ولكنه في الوقت ذاته صحح قاعدته ، وأما سلبياتها ومظاهر الخلل فيها فسيضرب الإسلام عنها صفحا ، ولا يتقبله الإسلام بل سيحتكم لكلمة الوحي الإلهي، فما وافقها عض عليها بالنواجذ ، وما خالفها طردها وفقا للقاعدة الأصولية " شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يخالف كلمة الوحي الإلهي " ، ثم بدت الحاجة الضرورية للحضارة الإسلامية لتحكم حركة الأحياء البشرية في هذا الكوكب ، وإلا أودت بحياتها إلى الهلاك والدمار . (١٢٠)

ولا غنى للبشرية عن منهج دعوة الحق وحضارته ومستقبل البشرية في ظله ، وها هي الصحوة الإسلامية قد بلغت شأوها في أرجاء المعمورة ، ويدخل فيه من أبناء الغرب المادي أفواجا أفواجا ، مما يشهد بأن الإسلام دين المستقبل وضرورة للبشرية جمعاء . (١٢١)

وهاكم بعضا من شهادات المنصفين من مفكري الغرب تؤكد هذه الحقيقة الإلهية على سبيل المثال لا الحصر :-

يقول " **شبنجلر** " : "إن للحضارات دورات فلكية ، تغرب هنا لتشرق هناك ، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة ، هي حضارة الإسلام الذي يملك أقوى روحانية عالمية نقية ."

---

(١٢٠) ولمزيد من الاستفادة أنظر : المستقبل لهذا الدين ــ سيد قطب ، جاهلية القرن العشرين ــ محمد قطب ، بينات الحل الإسلامي ــ د٠يوسف القرضاوي ص١١-٦٧ ــ واقعنا المعاصر ــ محمد قطب ص٥٢٦-٥٥٠ .

(١٢١) لمزيد من الاستفادة أنظر : دعوة الإسلام ضرورة عصرية ومستقبلية ــ للباحث تحت الطبع .

ويقول " **برنارد شو** " الفيلسوف الإنجليزي : " إن إنجلترا بل أوربا لو احتاجت إلى دين تتبعه لينقذها مما هي سائرة إليه من دمار محقق ، ودمار لا مناص لها منه فليس أمامها إلا الإسلام ."

ثم يقول : " إني أعتقد أن رجلا كمحمد لو تسلم زمام الحكم في العالم بأجمعه اليوم لتم له النجاح في حكمه . "

ويقول أيضا : " كنت أعرف دائما أن الحضارة تحتاج إلى دين ، وأن حياتها أو موتها يتوقفان على ذلك ، والدين الذي تحتاجه الحضارة الحقة هو دين الإسلام لا غيره من الأديان الوضعية ، ولقاده إلى الخير ، ولحل مشاكله على الوجه الذي يحقق السلام والسعادة المنشودة ."

ويقول "**البير مشادق** " : " من يدري ؟ ربما يعود اليوم الذي تصبح فيه بلاد الغرب مهددة بالمسلمين يهبطون إليها من السماء لغزو العالم مرة ثانية ، وفي الوقت المناسب "

ويضيف : " لست متنبأ ولكن الأمارات الدالة على هذه الاحتمالات كثيرة ولن تقوى الذرة ولا الصواريخ على وقف تيارها . "

ويقول الفيلسوف الغربي " **كاريل سبرزان** " : " الإنسان في حالة غياب مبدأ أو عقيدة يعتنقها يجد نفسه تائها ضائعا وغيرها من حالات الوجود الحادة . " (١٢٢)

ولا ريب في أن هذه العقيدة الغائبة في الحضارات المادية هي دعوة الحق " الإسلام " والتي لا غنى للبشرية عنها .

---

(١٢٢) نقول من : نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام ــ ماهر خليل ص١٤٤-١٤٥-١٤٧ .

إذن فالإسلام والحضارة الإسلامية هي ملاذ كل المجتمعات الإنسانية ، ووجه الحاجة إليها في واقعنا المعاصر أنها تمثل القاعدة الأساسية التي لا تنمو شجرة الحرية الإنسانية السوية إلا في تربتها ، وأنها الشعلة التي لا يستبين نظام الدنيا التي خلقنا للتعامل معها إلا على ضيائها، وأنها ضرورة من لوازم المجتمعات الإنسانية ، وذلك من قبيل حاجة الإناء إلى غطائه ، والجسم إلى غذائه ، والأرض إلى شمسها ، والحرية إلى نظمها." (١٢٣)

ويقول **د٠يوسف القرضاوي** مبينا الحضارة التي ينشدها العالم تتجلى في دعوة الحق (الإسلام) :-

" إن البشرية اليوم في حاجة إلى حضارة جديدة ، لها فلسفة ورسالة غير فلسفة الحضارة الغربية ورسالتها ، بل وسائر المدنيات البشرية على اختلاف مسمياتها ، فكلاهما ثمرة لشجرة واحدة ، هي الشجرة الملعونة في القرآن والتوراة والإنجيل ، هي شجرة المادية النفعية .

البشرية في حاجة إلى حضارة تعيد إليها إيمانها بالله وبرسالاته وبلقائه وبحسابه وعدالة جزائه ، وبالقيم العليا التي لا يكون الإنسان إنسانا بغيرها ، ولا يكون للحياة مذاق ولا معنى بسواها .

البشرية في حاجة ماسة إلى حضارة جديدة تعطيها الدين الحق ولا تفقدها العلم ، تعطيها الإيمان ولا تسلبها العقل ، تعطيها الروح ولا تحرمها المادة ، تعطيها الآخرة ولا تحرم عليها الدنيا ، تعطيها الحق ولا تمنعها القوة ، تعطيها الأخلاق ولا تسلبها الحرية .

---

(١٢٣) أنظر : الإسلام ملاذ كل المجتمعات الإنسانية لماذا وكيف ؟ ــ د٠محمد سعيد رمضان البوطي ــ دار الفكر ط١ ــ ١٩٨٤م .

إن العالم في حاجة إلى حضارة تتصل بها الأرض بالسماء ، وتتعانق فيها المعاني الربانية والمصالح الإنسانية ، ويتآخى فيها العقل المفكر والقلب المؤمن ، ويمضي فيها الإنسان قدما إلى الأمام مستضيئا بنور كلمة الوحي الإلهي ونور الفكر البشري من أرباب الذكر ، فكلاهما من فضل الله ورحمته بالإنسان ﴿ نور على نور ﴾ النور ٣٥ .

وليست هذه الحضارة إلا حضارة الإسلام ، التي يتجلى فيها التوازن والتكامل بصورة لا يقدر عليها إلا العليم الحكيم ، الذي لا يعزب عن علمه.مثقال ذرة في الأرض أو في السماوات .

إنها حضارة الإيمان الحق ، وهو سبيل الخلاص ، وسفينة الإنقاذ للبشرية من الغرق المخوف ﴿ ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم ﴾ آل عمران ١٠١ .([١٢٤])

والله يقول الحق ويهدي إلى سواء السبيل .

اللهم قد بلغت اللهم فاشهد .

([١٢٤]) الإسلام حضارة الغد ــ د٠يوسف القرضاوي ص١٤٩ بتصرف يسير .

أهم مصادر ومراجع البحث .

أولا : القرآن الكريم ، كتاب رب العالمين .

ثانيا : الكتب والدراسات :-

(١) أثر الإسلام في الحضارة الغربية ــ عبد الحميد السايح ــ ط عمان.

(٢) أثر المدنية في الحضارة الغربية ــ علي القاضي ــ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

(٣) أسس الحضارة الإسلامية ــ عبد الرحمن حنبكة ــ ط السعودية .

(٤) الإسلام حضارة الغد ــ د٠ يوسف القرضاوي ــ مكتبة وهبة ــ ط١ ــ ١٩٩٥م .

(٥) الإسلام دين المستقبل ــ روجيه جارودي ــ ترجمة عبد المجيد بارودي ــ دار الإيمان بيروت ١٩٨٣م .

(٦) الإسلام منهج حياة ــ عمر فروخ ــ دار العلم للملايين ١٩٨٣م .

(٧) الإسلام والحضارة الغربية ــ د٠ محمد محمد حسين ــ مؤسسة الرسالة ــ ط٨ ــ ١٩٨٦م .

(٨) الإسلام والحضارة الغربية ــ محمد كرد علي ــ ط لجنة التأليف .

(٩) الإسلام والغرب والمستقبل ــ ترجمة نبيل صبحي ــ دار العربية بيروت ١٩٦٩م .

(١٠) الإسلام ومشكلات العصر ــ د٠مصطفى الرافعي ــ دار الكتاب اللبناني ١٩٨١م .

(١١) الإسلام في القرن العشرين حاضره ومستقبله ــ عباس محمود العقاد ــ المكتبة العصرية ــ بيروت ١٩٧٩م .

(١٢) الإسلام في عالم متغير ــ أبو الحسن الندوي ــ ترجمة على عثمان ــ دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٨٠م .
(١٣) الإسلام يتحدى ــ وحيد الدين خان ــ دار البحوث ــ الكويت .
(١٤) أضواء على الحضارة الإسلامية ــ د٠أحمد عبد الرحيم السايح ــ ط السعودية .
(١٥) الإنسان الحديث ــ دراسة في مزاجه وقضاياه ــ ج ٠وودكرتش ــ ترجمة بكر عباس ــ دار الكتاب العربي ١٩٦٥م .
(١٦) انتبهوا البشرية في خطر ــ سعاد منسي ــ ط دار الشعب .
(١٧) أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ــ د٠يوسف القرضاوي ــ مكتبة وهبة ط٢ ــ ١٩٩١م .
(١٨) تاريخ الحضارة الإسلامية ــ ف٠بارنولد ــ ترجمة حمزة طاهر ــ دار المعارف ــ ط٥ ــ ١٩٨٣م .
(١٩) التطور والثبات في حياة البشرية ــ محمد قطب ــ دار الشروق ــ ط٧ ــ ١٩٨٧م .
(٢٠) الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة ــ د٠يوسف القرضاوي ــ مكتبة وهبة ط١ ــ ١٩٩٤م .
(٢١) حاضر العالم الإسلامي ــ لوثروب ستودار ــ ترجمة عجاج نويهض ــ المطبعة السلفية ــ القاهرة ١٣٤٣هـ .
(٢٢) الحضارة الإسلامية وضرورتها للحضارة الغربية ــ د٠أحمد شلبي ــ سلسلة المجلس الأعلى العدد ٢٧ ــ ١٩٩٨م .
(٢٣) حضارة العرب ــ جوستاف لوبون ــ ترجمة عادل زعيتر ــ ط الحلبي ١٩٨٠م .

(٢٤) الحضارة العربية ــ ي ٠هل ــ ترجمة د٠إبراهيم العدوي ــ كتاب الهلال .

(٢٥) الحضارة في الميزان ــ أرنولد توينبي ــ ترجمة أمين محمود الشريف ــ ط الحلبي ــ د٠ت٠

(٢٦) حولية كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية ــ العدد التاسع ، مقال د٠مبارك حسن حسين .

(٢٧) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ــ محمد الراوي ــ دار العربية ــ بيروت .

(٢٨) الدين والحضارة الإنسانية ــ د٠محمد البهي ــ ط الهلال .

(٢٩) رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ــ محمد قطب ــ مكتبة السنة ١٩٩١م

(٣٠) سلوك المالك في تدبير الممالك ــ د٠حامد ربيع ــ دار الشعب ١٩٨٠م .

(٣١) السياسة الشرعية في ضوء نصوص الشريعة ومقاصدها ــ د٠يوسف القرضاوي ــ مكتبة وهبة ط١ــ ١٩٩٨م .

(٣٢) الصحوة الإسلامية عودة إلى الذات ــ د٠مصطفى حلمي ــ دار الدعوة ط١ ــ ١٩٨٩م

(٣٣) ظلام من الغرب ــ محمد الغزالي ــ دار الاعتصام ــ ط٣ ــ ١٩٧٩م .

(٣٤) العالم الإسلامي المعاصر ــ د٠جمال حمدان ــ عالم الكتب ــ القاهرة .

(٣٥) العرب والحضارة الأوربية ــ محمد مفيد الشوباسي ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط٢ ــ ١٩٧٥م .

(٣٦) فضل الإسلام على الحضـــارة الغربيـــة ــ مونتجومـــري وات ــ ترجمة حسين أحمد أمين ــ دار الشروق ١٩٨٣م .
(٣٧) فلسفة التشريع الإسلامي ــ فتحي رضوان ــ سلسلة مع الإسلام ــ دار الكتاب العربي ــ القاهرة .
(٣٨) فلسفة الحضارة ــ ألبرت اشقير ــ وزارة الثقافة .
(٣٩) قدر الدعوة ــ رفاعي سرور ــ مكتبة الحرمين ١٩٩٢م .
(٤٠) قيم الحياة في القرآن ــ محمد شديد ــ دار الشعب ــ د٠ت٠
(٤١) قيم حضارية في القرآن الكريم ــ توفيق محمـــد ســـبع ــ سلســـلة البحوث الإسلامية .
(٤٢) ما بعد اللامنتمي ــ فلسفة المستقبل ــ كولن ولســـون ــ ترجمـــة يوسف شرور وعمر ــ دار الأدب بيروت ١٩٨١م .
(٤٣) ما يعد به الإسلام ــ روجيه جارودي ــ ترجمـــة قصـــي أناســـي ومشيل واكيم ــ دار الوثبة ــ دمشق ١٩٨٣م .
(٤٤) محاضرات أرنولد توينبي ــ ترجمة فؤاد زكريا ــ الدار القوميـــة للطباعة ــ القاهرة ١٩٦٦م .
(٤٥) محاورات برتراند رسل ــ برتراند رسل ــ ترجمة جلال العشري ــ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩م .
(٤٦) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ــ د٠يوسف القرضاوي ــ مكتبة وهبة ــ ط١ ــ ١٩٩١م .
(٤٧) المدنية الإسلامية وأثرها في الحضارة الأوربية ــ د٠سعيد عبـــد الفتاح عاشور ــ مكتبة الأنجلو المصرية ط٢ ــ ١٩٨٢م .

(٤٨) المرأة والأسرة في الحضارة الغربية الحديثة ــ محمد عطية خميس ــ سلسلة شباب محمد العدد ١٣ ــ دار الاعتصام ١٩٧٩م .

(٤٩) مستقبل الحضارة الإسلامية ــ د٠أحمد عبد الرحيم السايح ــ هدية مجلة الأزهر جمادى الأولى ١٤٠٥هـ .

(٥٠) المستقبل لهذا الدين ــ سيد قطب ــ دار الشروق ــ ط١٠ ــ ١٩٨٩م .

(٥١) مشكلات الفكر المعاصر في ضوء الإسلام ــ أنور الجندي ــ سلسلة البحوث الإسلامية ١٩٧٢م .

(٥٢) المعاصرة في إطار الأصالة ــ أنور الجندي ــ دار الصحوة ط١ــ١٩٨٧م .

(٥٣) معالم الحضارة الإسلامية ــ د٠مصطفى الشكعة ــ ط بيروت .

(٥٤) مع المسلمين الأوائل في نظرتهم للحياة والقيم ــ د٠مصطفى حلمي ــ دار الدعوة ١٩٨٩م .

(٥٥) من أجل صحوة راشدة ... ــ د٠يوسف القرضاوي ــ ١٩٩٤م .

(٥٦) نحن وحضارة الغرب ــ أنور الجندي ــ دار الاعتصام ١٩٨١م .

(٥٧) نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام ــ ماهر خليل ــ سلسلة البحوث الإسلامية ١٩٨٦م .

(٥٨) هذا هو الطريق أو معالم في الطريق ــ سيد قطب ــ جامعة إلمنيا شعبة الدراسات الإسلامية .

فضلا عن مراجع أخرى ذكرت في الهوامش ، بالإضافة إلى مراجع التخريج .